قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تلاقت عبقرية الأستاذ (الرافعي) — رحمه الله — في الأدب وعبقرية الأستاذ (المريان) في الوفاء ؛ وأوحت الأولى إلى الثانية (وحيها) فكانت (حياة الرافعي) ، أو هذه (المقالات الرافعية) في (الرسالة الغراء) وقد رآها الناس في هذا العام نجوماً ، وسيجتلونه بعد حين بدراً بل شمساً ذات أضواء في كتاب . ولم تجتزئ هذه (المقالات) بخيرها العميم وفضلها العظيم — وإنهما لمحسبان — بل جاب الخير خيراً ، وساق الفضل فضلاً ؛ فقال الأستاذ محمود محمد شاكر (مقاله) ، وجادل الأستاذ سيد قطب (جداله) ، ولو لم يكن الرافعيُّ قطب أقطاب ماحدّث عنه قطب...

وما هذه الأحاديث التي أنصبها اليوم في الرسالة

ونُصّ الحديثَ إلى أهله فإن الوثيقة في نصّه[1]

إلا من إحسان تلك المقالات التي أفضل بهـا إلى العربية فتى الفتيان وسيد الشبان الأستاذ محمد سعيد المريان

* * *

أشار الأستاذ محمد سعيد في (المقالة السابعة والعشرين) من مقالاته الرشيقة الأنيقة الرافعية إلى حكاية الكلمة الفارسية (القتل أنفى للقتل) وإني لأظن أن كثيرين من الأدباء والباحثين يودون أن يعرفوا تلك القصة بكمالها ، فهأنذا أحكيها ، وسأروى طائفة من الأقوال في الكلمة الفارسية ، وقد تقتضي الحال زيادة في هذا القصص للإفادة والتبيين و«الحديث ذو شجون» فأمليها

* * *

كتب صاحب (المثرات في اللغة والأدب) في الرابعة والرابعين من (عثراته) في جريدة (كوكب الشرق الغراء) في (٧ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (موازنة) قال فيها : « قالت العرب قديماً في معنى القصاص وأنه جُنّة من العدوان : (القتل أنفى للقتل) ، ثم أقبل القرآن الكريم على آثار العرب فقال : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » وقالت : (موازنة المثرات) : « هي — أي عبارة القتل — كلمة عربية جاهلية » ثم سطرت شيئاً ، محصوله[1] أن الكلمة الفارسية قد فاتت الآية القرآنية

والمقايسة بين الشيئين قد اختلف أيّما اختلاف قدرَاهما ، وتفاوتت كل التفاوت حالتاهما — تذكرنا بهذه الأملوحة في (عيون الأخبار) لابن قتيبة : « نافر رجل من جَرم رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال القرشي للجرمي : أبالجاهلية تفاخره أم بالاسلام ؟

قال : بالاسلام

قال : كيف تفاخره وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الاسلام ؟ !

قال الجرمي : فكيف تكون قلة الحياء ... ؟ »

أفطنت (موازنة المثرات) وارتقب المرتقبون البيان الحق والقول الفصل في ذاك الهزل ، فظهرت في جريدة (كوكب الشرق ١٢ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (قالته الفارسية ، وتنكره العربية ، القتل أنفى للقتل) أعلن فيها أن هذه المقولة ليست جاهلية ولاعربية ولامولدة ، وأنها مترجمة . ومما قالته الكلمة : « أجل العربية المحكمة المبينة أن تقول هذا القول : (القتل أنفى للقتل) إنها لا تعرفه ، إنها تنكره ، ولو قالتـه — وهو يبدو حكمة ومثلاً — لروته رواتها ، فلا الميداني صاحب (مجمع الأمثال) عرفه ، وقد جمع في كتابه أكثر من ستة آلاف مثل ، ولا ابن عبد ربه سمع به ، ولو نمى[2] في (الجزيرة) لانتظمته (جوهرة أمثاله) ولا أبو بكر البلاقلاني اشتمل عليه كتابه (إعجاز القرآن) ولا عبد القاهر أشار إليه في (دلائل الاعجاز) ولا (كشاف جار الله) وجدناه فيه . ودع كلام الناثرين من (الكتاب) في إيراده معزوًّا إلى العرب وما سطروا . إنه قول ما قالته العربية ولا مولدوها ، وإنما هو كلام فارسي نقله الناقل — وربما أخطأت

(١) رواه الزمخشري في الأساس

(١) محصول مراده فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدراً وضع موضع الفاعل ، والثاني أن يقال إن حصله بمعنى حصله بالتشديد (الأساس)

(٢) نمى ينمي ، ومنه نامية الله خلقه لأنهم ينمون ، وربما قالوا : ينمو نمواً (الاساس ، اللسان)

النرجة — ورائحتها فيه تكاد تفوح . ولو قالته العربية ما قالت : (القتل أنفى للقتل) وهى تريد أن القتل يزيل القتل ، أو يستأصله أو يفنيه ، ونفى القتل لا يبيده ، ونفى المجرم القاتل لا يريح الناس منه ... ومادة (ن ف ى) كاشفة ما يلتبس »

وقالت الكلمة : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب — قول عربى ، قول قرآنى لا يستقل بوصفه — إذا احتيج إلى وصفه — إلا بلاغة النبى ، بل هو يصف نفسه ، ويعلن فضله ، وينادى إعجازه على إعجازه و (القتل أنفى للقتل) قول فارسى ، نقله مترجم عربى ، وفيه ضعف . معناه كريم ، ولفظه لئيم ، قاله (أردشير) الملك . قال الامام الثعالبى فى (الايجاز والاعجاز) : من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه لفضل الاختصار ، ويحيط ببلاغة الايماء ، ويقطن لكفاية الايجاز — فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام ، فمن ذلك قوله (عز اسمه) : ولكم فى القصاص حياة . ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : (القتل أنفى للقتل) فنى كلام الله تعالى كل ما فى كلام أردشير وزيادة معان حسنة ، منها إبانة العدل بذكر القصاص ، والافصاح عن الغرض المطلوب فيه من الحياة ، والحثّ بالرغبة والرهبة على تنفيذ حكم الله والجمع بين القصاص والحياة ، والبعد من التكرير الذى يشق على النفس فان فى قوله القتل أنفى للقتل تكريراً ، غيرُه أبلغ منه »

وأشارت (الكلمة) في (الكوكب) إلى إيجاز الآية الكريمة وإعجازها ، وروت قولا لصاحب (دلائل الاعجاز) فى « الموازنة بين بعض الآى وبين ما يقوله الناس فى معناها » ونقلت كلام (الكشاف) فى تلك الآية المعجزة

ثم ظهر مقال بليغ فائق للأستاذ الرافعي (رحمه الله) فى جريدة البلاغ (١٥) رجب سنة ١٣٥٢ عنوانه (كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) قال فيه : « لقد تنبأ القاضى الباقلاني قبل مئات السنين بمقالة الكوكب هذى فأسلفها الرد بقوله : فان اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد[1] فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته — فما عليك منه ، إنما يخبر عن نفسه ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله »

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : أنا أقرر أن هذه الكلمة مولدة وضعت بعد نزول القرآن الكريم وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها ، فعلى الكاتب أن يدفع هذا بما يثبت أنها مما صح نقله عن الجاهلية »

ثم أوضح (رحمه الله) وهن الكلمة الفارسية أيما إيضاح ، ثم أبان ببيانه العالى فضائل الآية الكريمة ومما قاله :

« ومن إعجاز هذه اللفظة أنها باختيارها دون كلمة القتل تشير إلى أنه سيأتى فى عصور الانسانية العالمة المتحضرة عصر لا يرى فيه قتل القاتل بجنايته إلا شراً من قتل المقتول ، لأن المقتول يهلك بأسباب كثيرة مختلفة على حين أن أخذ القاتل بقتله ليس فيه إلا نية قتله ، فعبّرت الآية باللغة التى تلائم هذا العصر القانونى الفلسفى ، وجاءت بالكلمة التى لن تجد فى هذه اللغة ما يجزئ عنها فى الاتساع لكل ما يراد بها من فلسفة العقوبة »

« إن لفظ (حياة) هو فى حقيقته الفلسفية أعم من التعبير (بنفى القتل) لأن نفى القتل إنما هو حياة واحدة ، أى ترك الروح فى الجسم ، فلا يحتمل شيئاً من المعانى السامية وليس فيه غير هذا المعنى الطبيعي الساذج ، وتعبير الكلمة العربية عن الحياة (بنفي القتل) تعبير غليظ عامي »

« جملُ نتيجة القتل حياة من أعجب ما فى الشعر ، يسمو إلى الغاية من الخيال ، ولكن أعجب ما فيه أنه ليس خيالا بل يتحول إلى تعبير علمى يسمو إلى الغاية من الدقة ، كأنه يقول بلسان العلم : فى نوع من سلب الحياة نوع من إيجاب الحياة »

« فاذا تأملت ما تقدم وأنعمت فيه تحققت أن الآية الكريمة لا يتم إعجازها إلا بما تمت به من قوله (يا أولى الألباب) فهذا نداء عجيب يسجد له من يفهمه إذ هو موجه للعرب فى ظاهره على قدر ما بلغوا من معانى اللب ، ولكنه في حقيقته موجه لاقامة البرهان على طائفة من فلاسفة القانون والاجتماع هم هؤلاء الذين يرون إجرام المجرم شذوذاً في التركيب العصبى ، أو وراثة محتومة ، أو حالة نفسية قاهرة إلى ما يجرى هذا المجرى ، فمن

(١) مرمد فى رواية المقال فى البلاغ وفى النسخة المطبوعة من (إعجاز القرآن) وأظن أن أصلها متدئ ، وقد حرفت الكلمة فى مكان آخر فى كتاب الباقلانى : « وإن كنت فى الصنيعة مرمداً وفى المعرفة بها متوسطاً فلا بد من التقليد » والمرمد الفقير وبفتح الميم الثانية . الهالك وأرمد الله العين فهي رمدة وهو أرمد ورمد

ثم يرون أن لا عقاب على جريمة لأن المجرم عندهم مريض له حكم المرضى ، وهذه فلسفة تحتملها الأدمغة والكتب ، وهي تحول القلب إلى مصلحة الفرد ، وتصرفه عن مصلحة المجتمع ، فنبههم الله إلى ألبابهم دون عقولهم كأن يقرر لهم أن حقيقة العلم ليست بالعقل والرأى ، بل هي من قبل ذلك باللب والبصيرة ، وفلسفة اللب هذه هي آخر ما انتهت إليه فلسفة الدنيا »

« وانتهت الآية بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وهي كلمة من لغة كل زمن ، ومعناها في زمننا نحن يا أولى الألباب ، أنه برهان الحياة في حكمة القصاص نسوقه لكم ، لعلكم تتقون على الحياة الاجتماعية عاقبة خلافه ، فاجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد »

هذا بعض ما قاله فقيد العربية الأستاذ الرافعي (رحمه الله وكافأه) ولما اطلع الأستاذ النشاشيبي على هذا المقال البليغ في (البلاغ) بعث إلى هذه الجريدة بكلمة عنوانها : (إنها مترجمة) نشرتها في ١٩ من رجب ١٣٥٢ بعد مقدمة منها ، ومما جاء في تلك الكلمة : « قال الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في رده في (البلاغ) على [1] كاتب في (الكوكب) : (إن القتل أنفى للقتل مولدة وأنها مأخوذة من آية) ومعاذ الله أن تكون مولدة ، وأن تكون قد أخذت من آية ، ولو كان ذلك لوجدنا عليها مسحة [2] — وإن قلت — من الجمال القرآني وها هي ذي ، كما يراها رائيها ، لا تكلف أحداً في البشاعة وصفها فهي ليست بعربية ولا بمولدة ، ولم تبصر في يوم ضياء القرآن ، بل هي مترجمة ، وربما أخطأ الناقل في الترجمة »

(للقصة بقية)

* * *

(١) في القاموس واللسان : رد عليه : خطأه بالتشديد ، وللامام الجاحظ كتاب الرد على النصارى . وقد سمعت بعض الفضلاء يقول : لا يقال رد عليه بل رده ! وفي مقدمة (الكشاف) : ورد ورد عليه

(٢) على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح (النهاية) الأزهري : العرب تقول : به مسحة من هزال وبه مسحة من سمن وجمال (اللسان)

العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٤٦ وهو العدد الهجري الممتاز فمن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة بالسعر العادي وهو عشرة مليمات غير أجرة البريد

١٠٥٦٤

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢١ —

« يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع المنشود »

« *** »

« الديمقراطية هي النظام الذي يمكن الجميع من تحقيق أقصى مجهوداتهم » « باستور »

« يجب أن تكون أعمال الفرد في الجماعة الديمقراطية شائقة جذابة » « وولف »

١١ — سبيل الاصلاح

واليوم ماذا أقول ؟ لقد عرضت عليك فيما مضى صورة واضحة لشخصية خريج معاهدنا بما فيها من عقل وعاطفة وجسم ، وبينت لك أن هذه الشخصية لا تتفق وروح التربية الحديثة في أقل القليل ، ولا تصلح لأن تحقق آمال الوطن في صون الاستقلال وتزعم الشرق وإحياء المجد القديم ! فلم يبق اليوم إلا أن أسير معك إلى طريق الاصلاح علنا نصيب هنالك شيئا :

١ — مجلس أعلى للتربية والتعليم

وكثيراً ما تناولت الصحف أمر هذا المجلس بالحديث ، ولكن قليلا ما عنيت الحكومة به وأخرجته إلى حيز الوجود ! وأنت لا تكاد تجد دولة راقية بغير هذا المجلس الخطير ، ولا تستطيع أن تتصور اتزاناً واستقراراً في ناحية البرامج المدرسية إلا إذا كان مصدر هذه البرامج لجنة فنية راقية دائمة تمثل جميع الهيئات المتصلة بنواحي التعليم كالمدرسين والنظار ، وعمداء الكليات ورؤساء النقابات ، ورجال الأعمال وزعماء الأحزاب والأديان ؛ فإذا ما أوجدنا مثل هذا المجلس أمكننا أن نوفق بين تجارب المدرسين والنظار ورؤساء الأعمال ، وبين الخطط الدراسية والمناهج التعليمية وحاجات البلاد ، وبذلك تكون لدينا غاية معلومة لها فلسفتها الخاصة ، وخطة مرسومة توصل إلى هذه